مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 02 السنة 2022 ص 586 - 602

تاريخ الإرسال: 2022/01/02 تاريخ القبول: 2022/03/02
تاريخ النشر: 2022/04/24

البحث اللساني العربي الحديث
بين التأصيل والتأثّر
Arabic Linguistic research
Between classic and modern effect

الدكتور محمود بوسته [1]
جامعة قسنطينة 1 (الجزائر)، [1]mahmoud.boucetta@umc.edu.dz

الملخص:

تتناول هذه الدراسة: البحث اللساني العربي الحديث عند اللسانيين العرب، ومدى ارتباطه بالتراث اللغوي القديم، وعلاقته بالمناهج اللسانية الحديثة، ونهدف من خلالها إلى بيان الإرهاصات الأولى للبحث اللساني العربي الحديث، والعوامل المساعدة على ظهور اللسانيات العربية الحديثة، سواء العوامل الداخلية، المرتبطة بالسياق العام الذي برزت فيه، أو العوامل الخارجية المؤثرة والتي دفعت هذا العلم إلى الظهور، مع إيضاح أهم المصنفات اللسانية العربية في مراحلها الأولى، وأهم الاتجاهات اللسانية التي اتبعها اللسانيون العرب.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنهما تقدم لنا نموذجا يمَكننا من تقديم صورة واضحة وشاملة حول الدرس اللساني العربي للخروج من الانغلاق الذي وقع فيه المنكرون للمناهج اللسانية الحديثة ، والابتعاد عن إقصاء التراث اللغوي وما قدمه من دراسات عميقة تخص اللغة، بحيث يمكن الأخذ من المناهج اللسانية وما تقدمه من إيجابيات لدراسة اللغات، مع النظر إلى خصوصيات اللغة العربية، وما توصل إليه علماؤنا من دراسات لا يمكن الاستغناء عنها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العربية، التأثر، التأصيل، المناهج اللسانية، الدرس اللساني.

Abstract:

This project talks about the Arabic linguistic research and its relation to the old linguistic heritage, and its link to modern linguistic curriculum. And the aim is to show the first codes of modern Arabic linguistic research and the factors that helped this field to appear. Also to give a clarification of the most important Arabic linguistic works in their first steps, and the most important linguistic trends that Arab linguists followed.

The purpose of this subject is to show an example where we can give a hole and a clear image on the Arabic linguistic research to get out of the closure in which the deniers of modern linguistic curriculum fell, and to move away from denying the linguistic heritage and its deep studies of language, so that we can take from the linguistic curriculum and what It offers advantages for studying languages, considering the particularities of the Arabic language, And what our scientists have reached of studies that we cannot let go of it.

Keywords: Arabic linguistics, influence, classic, linguistic curriculum**.**

الدكتور محمود بوسته ، MAHMOUD.BOUCETTA@UMC.EDU.DZ

1.مقدمة:

قد يصعب على متتبع الحركة العلمية اللسانية العربية تحديد زمن دقيق أو علم من الأعلام كان له الفضل في ظهور اللسانيات العربية الحديثة ، إذ المشارب متعددة وأهداف البحث اللساني مختلفة وفترات التأثر واتباع المناهج اللسانية وتطبيقها والاستفادة منها في دراسة اللغة العربية متباينة من قطر للآخر ومن عَلَمٍ إلى عَلَم، لكن يمكن لنا تحديد الإرهاصات الأولى للدرس اللساني العربي وإن تعددت وتباينت، فإلى أي مدى يمكننا بيان ظهور اللسانيات العربية ؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية العامية أخرى فرعية يمكن تحديدها في كالآتي:

– هل يمكن تحديد الإرهاصات الأولى للبحث اللساني العربي، والعوامل المساعدة على ظهورها؟

– ماهي أبرز وأهم المصنفات اللسانية العربية؟

– وما مدى وتأثر اللسانيين العرب بالمناهج اللسانية الغربية؟

وتمثلت أهداف هذه الدراسة في بيان بدايات البحث اللساني الحالي عند العرب، وعلاقته بالبحث اللغوي العربي القديم، والمناهج اللسانية الغربية.

وللإجابة على هذه الإشكالية يمكننا تتبع المنهجية التالية:

– مقدمة

– الإرهاصات الأولى للحركة اللسانية في الثقافة العربية وعلاقتها وما مدى أصالته وتأثره بغيره.

– مصطلح اللسانيات في الثقافة العربية.

– أهم المصنفات اللسانية العربية في المرحلة الأولى.

– الاتجاهات اللسانية الأساسية في اللسانيات العربية.

– خاتمة : بها أهم النتائج المتوصل إليها والاقتراحات والتوصيات.

2. الإرهاصات الأولى للحركة اللسانية في الثقافة العربية:

يمكن بيان البدايات الأولى التي مهدت الطريق لظهور اللسانيات العربية الحديثة في الآتي:

1.2 البعثات العلمية وأثرها في الدرس اللساني العربي الحديث:

كان للبعثات العلمية العربية للبلاد الأوربية أثر كبير في حركة النشاط اللساني العربي، ويأتي على رأس هذه الرحلات العلمية رحلة رفاعة الطهطاوي (1801–1873) وهو من بين النهضويين الأوائل الذين اهتموا باللغة العربية ونهضوا لدراستها

وتجديد أمورها لإزالة ما أصابها من جمود في المفردات وتعقيد في الأساليب التراكيب، وتجسد أفكار الطهطاوي اللغوية أول مظهر من مظاهر التلاقح بين الثقافتين العربية والفرنسية، وقد قدَّم فكرة عامة عما وصل إليه البحث اللغوي في فرنسا ، سواء بالنسبة لدراسة اللغة الفرنسية، أم بالنسبة للغة العربية على يد المستشرقين أمثال دي ساسي وغيره.

ويمكن الحديث عن جهود الطهطاوي اللغوية من زاويتين:

الأولى: بالقياس للفكر اللغوي العربي السائد قبل الطهطاوي وبعده بقليل، وتتضح جهود الطهطاوي هنا في:

- التعريب والمصطلح.
- تبسيط النحو العربي.
- فهم طبيعة اللغة.

الثانية: بالقياس للبحث اللغوي السائد آنذاك في أوربا خلال الأربعين سنة الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي.[1]

– ولم تقتصر البعثات العلمية العربية على الطهطاوي فقط بل كان هناك بعثات علمية كثيرة من الجامعات العربية في فترات لاحقة ، وبرز خلالها الكثير من اللسانيين من أمثال : تمام حسان ، سعيد حسن بحيري، عبد الرحمان حاج صالح ، أحمد المتوكل وغيرهم من اللسانيين الذين كان لهم الأثر البارز في اللسانيات العربية الحديثة.

2.2 أثر المستشرقين في الدرس اللساني العربي:

إن أبحاث المستشرقين في حقل المعجم وفي غيره من مستويات التحليل اللغوي للعربية ، تعكس بجلاء تشبع أصحابها بآراء المناهج اللغوية السائدة في أوربا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وخاصة منها المنهج التاريخي – المقارن،

وتميزت كتاباتهم المتنوعة باعتمادها مبادئ جديدة في الدرس اللغوي العربي الحديث، ومعظم المستشرقين كان لهم دراية بأسس المنهج المقارن الذي بدأ في أوربا مع بوب سنة 1816، ولم يقتصر البحث اللغوي عند المستشرقين على المنهج التاريخي والمقارن، بل نجد المستشرق الألماني برجشترايسل(1866- 1933) تحدث في محاضراته في الجامعة المصرية عن جملة من الأفكار اللسانية الجديدة التي يمكن أن تسهل البحث العلمي في اللغة العربية[2]، وقد كان لدراسات المستشرقين للغة العربية الأثر البارز في الدرس اللساني العربي الحديث، دون الخوض في أهداف الاستشراق من النواحي الفكرية فهي ليست موضوعنا في هذا الجزء.

3.2 حركة الترجمة اللسانية:

للترجمة دور كبير في التأثر والتأثير الثقافي ونقل العلوم والفنون بين الحضارات، "وتعتبر الترجمة اللسانية من أهم الأبواب التي بها يمكن، بل ينبغي للباحثين العرب أن يسهموا في نشر اللسانيات الحديثة بربوعنا نشرا سليما بعيدا عمّا يكتنف الكثير من أعمال التبسيط اللساني الصادرة بالعربية أصلا من خلل واضطراب"[3]، إلا أن أهمية الترجمة اللسانية في بروز اللسانيات العربية الحديثة والنهوض بها كبيرةٌ.

وتتحكم في تخلف الترجمة اللسانية في ثقافتنا العربية اعتبارات كثيرة؛ منها ما يرتبط بالسياق الاجتماعي العام للمعرفة اللسانية في الثقافة العربية ، ومنها ما يرتبط باللسانيات باعتبارها علما، ويمكن بيان ذلك كالآتي:

أولا: العقبات الخارجية : سوسيولوجية الترجمة:

من أهم العوائق السوسيولوجية التي تسهم في الوضع العام الذي تعيشه الترجمة اللسانية في الثقافة العربية ، نذكر:

- تأخر البعثات اللسانية إلى الخارج.

- غياب شرط التفاعل الحضاري الذي يشجع الإقبال على ترجمة الكتب اللسانية.
- انعدام سوق لسانية تدخل في عجلة الرواج ، عكس ما نجده في المجتمعات الغربية التي تحتوي على مؤسسات للإنتاج والاستهلاك.
- وجود مجموعة من المدعين ، فأصبح الخلط قائما بين خطابات/ ترجمات لسانية وخطابات / ترجمات محسوبة على اللسانيات لا تمتُّ إليها بصلة.[4]

ثانيا: العقبات الداخلية: إبستيمولوجيا الترجمة:

- هذا النوع من العوامل تفرزه اللسانيات العربية من الداخل ، ولعلَّ أبرز تجلياته:
- غياب التكامل الذي يفرضه تداخل الاختصاصات.
- عدم التنسيق بين الباحثين مما يؤدي إلى بعثرة الجهود وتكرار الأبحاث.
- نقص المعاجم اللسانية العربية.
- إشكالية المصطلح اللساني.
- غياب مؤسسة علمية تتحكم في زمام الترجمة وتمتلك سلطة القرار، وصلاحية التنفيذ، إذ كثيرا ما نجد بعض الكتب اللسانية ترجمت أكثر من مرة ، وهذا أحد المؤشرات على عدم التنسيق.
- انعدام ضوابط التقييس والمواصفات التي تساعد على كتابة أسماء الأعلام والأماكن بشكل موحد لا يطرح إي التباس على القارئ العربي.[5]

4.2 تجديد وإحياء التراث اللغوي العربي القديم:

إنها حركة جديدة في دراسة التراث، وأصحاب هذا التيار لاحظوا رجوع الألسنيين الغربيين إلى القديم من حين إلى حين يأخذون منه ما يثري العلم الجديد ، ولعلّنا برجوعنا إلى التراث نجد فيه كنوزا نشارك بها ، أو نكوّن بها مدرسة عربية ، وليست

قراءة التراث بالأمر الجديد ، فقد فطن الناس منذ زمن بعيد إلى علم الأصوات ومبلغ الدقة في نظر العرب فيه، ، ويتفطنون أيضا إلى الجرجاني وإلى علم المعاني، ويراجعون النحو القديم وأحسن مثال في هذا المجال كتاب تمام حسّان " اللغة العربية معناها ومبناها"، وهذه هي آثار اللسانيات في تجديد النظر اللغوي العربي، فقد وجهت شغلنا نحو مواطن من التراث فدرسناها ، فهي اليوم باب يفتح المغلق من القديم، ويصل أثرها إلى تلك المحاولات في تطبيق اللسانيات على وصف العربية ونظامها وفي اتخاذها أداة لوصف استعمال هذه اللغة في المجتمع والأدب والتعليم.[6]

5.2 القيام بدراسات جامعية وأطروحات:

دراسات أنجزت من قبل طلاب عرب في جامعات أوربا وأمريكا بالخصوص تناولت وصف الواقع اللغوي العربي من وجهة نظر مختلف المدارس اللسانية الغربية، وما زالت هذه العملية قائمة إلى اليوم.

6.2 إنشاء كراسي خاصة بعلم اللغة:

بحيث قامت العديد من الجامعات العربية بتأسيس كراسي علمية في الجامعات العربية .

7.2 تنظيم ندوات ولقاءات علمية محلية وجهوية ودولية في مجال اللسانيات:

وأغلب هذه الملتقيات العلمية تنظمها أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية.

8.2 إنشاء تخصصات وفروع علمية في اللسانيات العامة: بكليات الآداب وأقسام اللغة العربية بالجامعات العربية.

9.2 ظهور كتابات لسانية: وتشمل مؤلفات وكتب ألفها أصحابها في تخصص اللسانيات[7] ، وهناك من يعد كتاب (علم اللغة) لعبد الواحد وافي 1941 هي البدايات الأولى للتأليف في اللسانيات العربية، وسيأتي الحديث عن أهم الكتب في اللسانيات العربية .

3. مصطلح اللسانيات في الثقافة العربية:

اختلف الدارسون عندنا حول المصطلح الرئيس الدال على هذا العلم أي (اللسانيات) فلقد بلغت المصطلحات المعربة أو المترجمة لمصطلح (Linguistique) ثلاثة وعشرين مصطلحا، وفق ما أورده الدكتور عبد السلام المسدي، نحو: الألسنيّة، وعلم اللغة، واللغويات، والدراسات اللغوية الحديثة، وعلم اللغة العام، وعلم اللسان...[8] وتبعا لتوصية ندوة "اللسانيات واللغة العربية" المنعقدة بتونس 13- 19 ديسمبر عام 1978 تقرر استعمال مصطلح " اللسانيات" بدلا من مصطلح الألسنية [9] , وغيرها من المصطلحات.

4. أهم مصنفات اللسانيات العربية الحديثة:

1.4 كتاب " الأصوات اللغوية: للدكتور إبراهيم أنيس (ما بين 1941- 1946):

يعد الأول من نوعه في اللغة العربية ، والذي يعده صاحبه مجهودا متواضعا يهدف من خلاله نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية بين من يعنون بالبحث اللغوي، وفي نظره هذه الدراسة حديثة عندنا[10] ، وبذلك يكون كتاب (الأصوات اللغوية) قد دخل الدرس اللساني من باب واسعة هي باب الدراسات الصوتية، ومؤكد أن إبراهيم أنيس أراد بهذا الجمع بين آراء القدماء والمحدثين في مجال الدراسات الصوتية، أن يؤسس للدرس اللساني العربي الحديث من خلال الوقوف على آراء علماء اللغة العربية في هذا المجال وتأكيد أسبقيتهم فيه.[11] وقد جاء كتابه في عشرة فصول :

تناول في الفصل الأول: ظاهرة الصوت، والصوت الإنساني، وكيف بدأ الصوت اللغوي، مع أهمية السمع في إدراك الصوت، وجاء الفصل الثاني حديثا عن أعضاء النطق وبعض صفات الأصوات، أفرد الحديث في الفصل الثالث عن أصوات اللين، أما الفصل الرابع فتحدث فيه عن الأصوات الساكنة ومخارجها

وصفاتها، وجاء الفصل الخامس عبارة عن ملاحظات حول دراسة القدماء للأصوات، وتحدث في الفصل السادس عن طول الصوت اللغوي، والمقطع الصوتي، والنبر وموسيقى الكلام ، وكان الحديث في الفصل السابع عن المماثلة والإدغام، والفصل الثامن عبارة عن سرد للتطور التاريخي للأصوات وحديث عن المخالفة، والفصل التاسع تحدث فيه عن الطفل والأصوات اللغوية، والفصل العاشر والأخير جاء فيه الحديث عن عوامل تطور الأصوات اللغوية، واختلاف أعضاء النطق.[12]

4.2 كتاب "مناهج البحث اللغوي" للدكتور تمام حسان (1955 م):

يعد هذا الكتاب من أولى المحاولات لتطبيق المناهج اللسانية الغربية على اللغة العربية، ولم يعدم تماما حسّان محاولات تجديد منهج البحث اللغوي منذ القديم فقد ذكر محاولة ابن مضاء القرطبي التي يعتبرها أول محاولة لها خطرها في هذا الباب الذي دعا إلى اعتبار ما هو مستعمل فحسب من صيغ اللغة دون الحاجة إلى التقدير والتعليل، وذكر أيضا بعض المحاولات الحديثة منها التي قام بها الأزهر[13]، وقدّم لكتابه بعرض تاريخي لمراحل تطور البحث اللساني في الغرب، وتحدث عن استقلال هذه المناهج عن سائر العلوم، مع البنيوية والبنيوية الوصفية، تحديدا ثم عرض بعض المبادئ التي جاء بها رواد المنهج البنيوي، ابتداء من دوسوسير، وانتقل إلى الحديث عن آراء اللغويين العرب القدماء في اللغة.[14]

وأهم ما جاء في الكتاب: حديث عن استقلال المنهج اللغوي، واللغة والكلام، ومنهج الدراسات اللغوية– تعدد الأنظمة في اللغة الواحدة ، وحديث عن منهج الأصوات (الفوناتيك) ومنه التشكيل الصوتي (الفونولوجيا) بالإضافة إلى منهج الصرف، ومنهج النحو ، ومنهج المعجم، ومنهج الدلالة.[15]

3.4 كتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" للدكتور: تمّام حسّان (1973م):

يعد هذا الكتاب من أهم كتبه مع الكتاب السابق " مناهج البحث في اللغة"، ومجال بحثه في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" هو اللغة العربية الفصحى بمجالاتها المختلفة ، والمعنى هو الموضوع الأخص لهذا الكتاب ، وغايته من هذا الكتاب هو أن يلقي ضوءًا جديدا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله منبعثا من المنهج الصوتي في دراسة اللغة، وهو يعتبر هذا التطبيق الجديد للنظرة الوصفية في هذا الكتاب (مع تحليه بالتواضع) أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجرى بعد سيبويه وعبد القاهر الجرجاني ، وفي نظره لو أعطى جمهور الدارسين هذا الكتاب ما يسعى إليه من إثارة الاهتمام، فإنه ينبغي لهذا الكتاب أن يبدأ عهدا جديدا في فهم العربية الفصحى مبناها ومعناه وأن يساعد على حسن الانتفاع بها لهذا الجيل وما بعده،[16] وأهم ما جاء في الكتاب: الفصل الأول: تناول فيه مقدمة عن الكلام واللغة وعناصر النظام الصوتي والصرفي والنحوي، الفصل الثاني: تناول فيه الأصوات، والفصل الثالث: تناول فيه النظام الصوتي، حيث تحدث فيه عن وظائف الأصوات الصحيحة والعلل والصوت والحرف، الفصل الرابع: تحدث فيه عن النظام الصرفي، الفصل الخامس : تحدث فيه عن النظام النحوي، الفصل السادس: تناول فيه الظواهر السياقية، الفصل السابع: حديث عن المعجم، الفصل الثامن: اختتم كتابه بالحديث عن الدلالة.[17]

4.4 **الكتب الأولى في اللسانيات العربية:**

وهناك الكثير من الكتب مجال اهتمامها اللسانيات العربية الحديثة ، خصوصا منها الكتابات اللسانية الأولى ، نذكر منها:

- اللهجات العربية – إبراهيم أنيس (بين سنتي 1941– 1946).

– من أسرار اللغة – إبراهيم أنيس (1951).

– اللهجات وأسلوب دراستها – أنيس فريحه (1955).

– دراسة نقدية في النحو العربي – عبد الرحمان أيوب (1957).

– دلالة الألفاظ – إبراهيم أنيس (1958).

– اللغة بين المعيارية والوصفية – تمام حسّان (1958).

– اللغة والمجتمع رأي ومنهج – محمود السعران (1958).

– علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي (1962).

– قضايا لغوية– كمال محمد بشر (1962).

– النحو العربي والمنطق الأرسطي – عبد الرحمان الحاج صالح(مجلة كلية الآداب – جامعة الجزائر – 1964).

– التطور اللغوي – رمضان عبد التواب (1968).

– علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة – محمود فهمي حجازي (1970).

– الألسنية العربية – ريمون الطحان (1972).

– أصول النحو العربي – محمد عيد (1973).

– اللغة العربية معناها ومبناها – تمام حسان (1973).[18]

وغيرها من الكتب المتخصصة في اللسانيات العربية سواء التي تم تأليفها في الفترة الممتدة بين أربعينيات القرن الماضي والسبعينيات، أم الكتب التي تم تأليفها حديثا، بالإضافة إلى الكتب اللسانية المترجمة إلى اللغة العربية.

5. الاتجاهات اللسانية الأساسية في اللسانيات العربية الحديثة:

1.5 الاتجاه الوصفي البنيوي:

إن ظهور المدرسة الوصفية البنيوية ، يعدُّ ثورة في عالم الدراسات اللغوية، بما فعلته في ساحة هذه الدراسات ، إذ حولت مسارها من قصرها على الدراسات الفيلولوجية للغات[19] إلى وصف بنيتها.

وما إن عرف الاتجاه الوصفي طريقه إلى الثقافة العربية حتى انبهر العديد من اللغويين العرب بالإنجازات التي حققتها الوصفية في الغرب، فكان ذلك حافزا على تطبيق هذا المنهج على اللغة العربية ، ويمكن أن نميز بين مرحلتين:

– **مرحلة أولى:** تَرَكَّزَ فيها الاهتمام على التعريف بالمبادئ والأفكار اللسانية الجديدة على نحو ما نجد عند إبراهيم أنيس ومحمود السعران، وتمَّام حسّان.

– **ومرحلة ثانية:** تميزت بمحاولة بعض الوصفيين الدفاع عن الفكر اللساني الحديث، والكشف عن إيجابياته نظريا ومنهجيا ، والمقارنة بينه وبين الفكر اللغوي العربي القديم.

ويلاحظ أن الوصفيين لم يبتعدوا عن حدود الأفكار التي صاحبت حركة الإحياء والتيسير في الثقافة العربية ، فقد اهتم التيسيريون بضرورة تيسير النحو وتسهيله لتبرم النشء منه، وذلك بتخليصه من الشوائب الفلسفية، من الذين حملوا لواء هذه الدعوة إبراهيم مصطفى في كتابه "إحياء النحو" وهي الأفكار نفسها التي كررها الوصفيون.[20]

2.5 الاتجاه التوليدي التحويلي:

إذا كان ظهور المدرسة الوصفية البنيوية ، يُعدُّ ثورة في عالم الدراسات اللغوية، بما فعلته في ساحة هذه الدراسات ، فحولت مسارها من قصرها على الدراسات الفيلولوجية للغات، فإن ظهور المدرسة التوليدية التحويلية، في أمريكا على يد العالم اللغوي نعوم تشومسكي ، يُعدُّ أيضا ثورة لغوية كبرى في الربع الأخير من القرن

العشرين، حيث بهرت هذه الثور اللغوية – بما قدمته من نهج جديد– العديد من العلماء في أمريكا وأوربا والشرق العربي على السواء.[21]

يُعتبر داود عبده من أوائل اللسانيين العرب الذين استلهموا مبادئ النظرية التوليدية، تشهد على ذلك مؤلفاته التي تجمع بين الدراسة الصوتية والدراسة التركيبية، وهي دراسات ركزت على تجاوز القصور الذي طبع الاتجاه الوصفي، وتتميز كتابات ميشال زكرياء بعرضه المفصل للقواعد التوليدية والتحويلية والتمثيل لها من معطيات اللغة العربية، ومن أبرز تحليلاته ما تعلق بدراسة الجملة ، فقد أشار إلى الاهمية البالغة التي تتخذها إعادة كتابتها (الجملة) بالقواعد التوليدية والتحويلية من حيث إنَّ للجملة بنية عميقة تشتغل عليها قواعد توليدية وتحويلية لاشتقاق بنيتها السطحية، واعتبر محمد علي الخولي أن الفرضية التي أنشأها اللساني الأمريكي "تشارلز فيلمور " أكثر الفرضيات ملاءمة للغة العربية، واعتمد مازن الوعر مبادئ النظرية الدلالية التطبيقية التي وضعها " والتر كوك" 1979، تهدف هذه النظرية إلى تقديم جملة من المعايير الدلالية لوصف المضمون الدلالي للتراكيب ، ويعتبر الفاسي الفهري أهم من يمثل المحاولات الشمولية في الكتابة اللسانية التوليدية العربية ، والملاحظ أن التوليديين العرب يسلكون طرائقَ قِدَدا في تحليلاتهم وطروحاتهم واستدلالاتهم، وإن الاختلاف بينهم قائم حول العديد من القضايا.[22] لكن على الرغم من أن اللسانيين العرب سلكوا العديد من الطرائق إلا أن النظرية التوليدية التحويلية عرفت في السنوات الاخيرة تطورا مذهلا، سواء في شكلها العام أو في مضمونها وكيفية تصورها للتحليل اللساني، نتج عنه تراكم معرفي هام جدا على مستوى النظرية ومفاهيمها الأساس، ولايسَعُ المتتبع إلا أن يأسف لكون الثقافة اللغوية العربية الحديثة تعرف تأخرا لا مثيل له في مجال مُوَاكَبَة ما يطرأ من تطورات وتحولات نظرية على النظريات اللسانية عامة، وفي مجال النحو التوليدي خاصة، ويزداد الأسف عندما نجد بعض الكتابات

العربية الجادة لا تجد من يهتم بها أو يُقدِّر دورها في تنمية البحث اللساني العربي والتعريف به عالميا.[23] فالمشكلة لم تكن في كثرة الطرائق التي سلكها التوليديون العرب، وإنما في مواكبة تطور هذه النظرية وإبراز قيمة البحث اللساني وما يقدمه للغة العربية.

3.5 الاتجاه التداولي الوظيفي:

يعد الاتجاه الوظيفي ثالث اتجاهات البحث اللساني المعاصر، وتستند اللسانيات الوظيفية إلى ما قدمته المدرسة النسقية بلندن ، وهي متأثرة بأعمال مدرسة براغ؛ حيث تعد اللغة ظاهرة بشرية متكاملة، وإن دراستها في مستوياتها الجزئية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية تفقدها طابعها التواصلي الذي يميزها، فقد دعت إلى عدم إغفال أبعادها الثقافية والاجتماعية والنفسية، وطورت في هذا المجال مفهوم " سياق الحال"، الذي يدرس اللغة في سياقها المادي والمعنوي، وينبغي تفسيرها وفق هذه المبادئ، ومن ثمرات الدراسات الوظيفية في سبعينيات القرن الماضي النحو الوظيفي،[24] وقد شكّلَتْ اللسانيات الوظيفية أحد أشكال التطورات المتلاحقة التي عرفتها المدرسة البنيوية، وكما ذكرنا سابقا فإن أحد أبرز طرق انتقال اللسانيات إلى الثقافة العربية كان على يد اللسانيين العرب الذين انتقلوا للدراسة في الجامعات الغربية ، فكان بديهيا أن يتأثر اللسانيون العرب بالآراء الوظيفية، ونذكر من هؤلاء **أحمد المتوكل** الذي اشتغل على اللسانيات الوظيفية، وإنَّ المتتبع لكتابات المتوكل منذ 1982م إلى يومنا هذا، يلاحظ بوضوح أنه يهدف إلى تأسيس " نحو وظيفي للغة العربية" نَحْوٌ في إمكانه رصد كل القضايا المتعلقة باللغة، أو لنقل بتعبير أكثر دقة، القيام بمشروع للسانيات اللغة العربية في كل مستوياتها، وعموما ، فإن اللسانيات الوظيفية تبقى مقاربة للإنجاز بالدرجة الأولى ، مما يوجب الاعتناء بالمعطيات المقامية والمقالية مادامت اللغة وسيلة تواصل اجتماعية تستعمل لأداء

وظائف متعددة .[25] ولا يمكن الاستفادة منها إلا بدراستها دراسة علمية تبرز قيمة اللغة ووظيفتها عند الإنسان.

6.خاتمة:

توصلت في ختام هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

– ظهور اللسانيات العربية لم يرتبط بعَلَم واحد، بل مجموع مساهمات المتخصصين هي من ساهمت في بروزها.

– لم تكن هناك سنة محددة لظهور اللسانيات العربية، بل بدأت بالتدرج إلى أن وصلت إلى ماهي عليه الآن.

– لم تكن المنطلقات الأولى للسانيات العربية ، من باب اللغة بل كان من باب التأثر بالحضارة الغربية، ثم توسع الأمر ليشمل التأثر بالمناهج اللسانية الغربية.

– تنوعت المصادر التي كانت سببا في ظهور هذا التخصص العلمي بين إحياء التراث وتجديده، وبين التأثر بالمناهج اللسانية الغربية.

– لقد تعددت المواقف اتجاه التراث ، والنظرة للمناهج الغربية ؛ فهناك من أخذ من التراث ولم ينظر للمناهج الغربية، وهناك من أخذ من المناهج الغربية ولم يلتفت للتراث اللغوي العربي، ويوجد من وقف موقفا وسطا، بحيث رجع للتراث وقام بإعادة قراءته وتجديد النظر إليه دون أن يهمل المناهج اللسانية الغربية.

– لقد توزع المتخصصون في اللسانيات العربية من الذين نهلوا من المناهج الغربية بين الاتجاه الوصفي البنيوي، والمنهج التوليدي التحويلي ، والمنهج التداولي الوظيفي، بحسب رؤية وتأثر كل عَلَم بالمنهج الذي اتبعه.

– اقتراح توحيد الجهود اللسانية العربية من أجل خدمة اللغة العربية وفهم قوانينها وفق المناهج اللسانية العلمية الدقيقة، حتى لا تكون كثرة هذه الجهود عاملا من عوامل تنفير الدارسين من دراسة اللغة العربية.

5.المراجع

1 – مصطفى غلفان : اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة – حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1427– 2006، ج1، ص: 21– 22.

2 – ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ، ج 2، ص: 99– 102.

3 – حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة– دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2009، ص: 194.

4 – ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص: 195– 196.

5 – ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص: 196– 199.

6 – ينظر: محمود فهمي حجازي: اتجاهات الدراسات اللغوية في مصر المعاصرة، أشغال ندوة " اللسانيات واللغة العربية" تونس 13–19 ديسمبر 1978، سلسلة اللسانيات ، عدد 4، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، الجامعة التونسية، تونس، ص :54– 55.

7 – مصطفى غلفان: اللسانيات في الثقافة العربية، ص: 146–147.

8 – أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 3، 1429– 2008، ص: 34– 35.

9 – ينظر: أشغال ندوة " اللسانيات واللغة العربية" تونس 13–19 ديسمبر 1978، سلسلة اللسانيات ، عدد 4، ص: 07

10 – إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1971، ص: 04–05.

11 – فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث – دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص: 32.

12 – ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 06–270.

13 – تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1990، ص:04-05.

14 – – فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، 41.

15 – تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة، 14– 240.

16 – تمّام حسّان: اللغة العربية معناها مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1994، ص: 09– 10.

17 – ينظر: تمّام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 31– 335.

18 – فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، 26– 28.

19 – ينظر: حسام البهنساوي : أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1414– 1984، ص: 01.

20 – ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص: 257.

21 – حسام البهنساوي : أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص: 01.

22 – ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص: 263– 340.

23 – مصطفى غلفان وآخرون: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 1431– 2010، ص:02.

24 – خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية – محاولة تأصيلية في الدرس العربية القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1 ، 2009، ص 37– 38.

25 – ينظر: المرجع نفسه، ص: 344– 402.